

## الترجمة

### خطرها وأثرها في الأمم المختلفة

للدكتور عبد العزيز عزت

#### ٢ - عند الرومان

ونجد أثر الرواقين والأكاديمية الجديدة في كل كتبه الأخرى وعلى الخصوص في « غايات الخير والشر » وهو أهم كتاب لشيرون بإجماع مؤرخي الفلسفة، ويشرح فيه الأخلاق النظرية، وهي تتركز على حرية الإرادة التي تتضمن سياسة النفس الفردية وانسجامها مع منطق المجتمع البشري، وتفهم إرادة الوجود العالمي الذي فيه الإنسان جزء بسيط في مرتبة الكائنات المختلفة التي تتسلسل في درجات متصاعدة حتى تبلغ القداسة السماوية. كذلك في كتابه الواجبات ويشرح فيه الأخلاق العملية معلناً أن مغريات الحياة الخارجية أعراض زائلة يجب الزهد فيها، ويجب التماس النافع منها لتقوية روح الإنسان لفضل الخير ومقاومة الشهوات الجارحة والانفعالات الثائرة، كي يصل الإنسان إلى تلك الجنة النفسية الداخلية التي يصورها الرواقيون في تفكير الفلاسفة والحكماء، وكذلك في « طبيعة الآلهة » حيث يمرض للإلهيات والطبيعة. وبينما يتأثر في الجزء الأول منها بأبيقور ومذهبه في اللذة في مجال الأخلاق وفلسفة الطبيعة عامة، يتأثر في الجزء الثاني بفلسفة الرواقين من حيث خلق العالم وترتيب نظامه وعناصره ومخلوقاته، ثم مرهه وتناقضه حتى المبدأ الفطري الأول حيث تحصل الطهارة ويخلق العالم من جديد وتم دورة نظامه. وهو أهم هذه الأجزاء لأنه يبسط آراء كرزيب وكليات، وفي الجزء الثالث يحدثنا كونا عن آراء أرسطو

وبجوار ذلك ترجم شيرون الكتب الآتية من أولها لآخرها وهي كتاب لزينوفون، (ولقد ضاعت هذه الترجمة) وكتاب البرونا جوراس لأفلاطون وهي من كتب عهد الصبا حيث يتأثر أفلاطون بتعاليم سقراط الأخلاقية إذ يتساءل فيها عن صفات الفضيلة: أي طبيعية فينا أم هي مكتسبة بالتعلم

والتمرين والمادة؟ (ولقد ضاعت هذه الترجمة)، وترجم لأفلاطون كذلك كتابه العظيم الخالد، الذي يلخص كل فلسفته وكل العلم اليوناني حتى زمان أفلاطون وهو كتاب « طيباؤوس » وفيه يتكلم أفلاطون عن رحلاته وعن روح العالم، وكيف تتوسط بين الخالق الفنان وبين سائر المخلوقات التي تنتظم في ترتيب يحقق جمال عالم المثل. وبعد أن يمرض لطبائع المخلوقات بالتفصيل مبتدئاً من الله ومقرباً بالعالم السماوي ثم بالإنسان والحيوانات والنباتات والجمادات، يمد رأيه في السياسة التي يبسطه بعد ذلك في « جمهوريته » وفي نواميسه. « فطياؤوس » هذا هو أهم كتاب في نظري تركه العالم اليوناني وسار سواء في العالم الروماني عن طريق شيرون أم في العالم العربي بعد ذلك حيث ترجمه حنين بن إسحاق وأصلحه يحيى بن عدي كما يؤكد ذلك العلامة لسكليك في كتابه « تاريخ الطب عند العرب » الجزء الأول، وكما يؤكد القفطي في مقالاته عن أفلاطون في أخبار الحكماء. ولقد شرحه أخيراً بالفرنسية أستاذنا العلامة ألبير ريفوني مجموعة يدي

فؤلفات شيرون بنوعها سواء المترجم منها أم التي يسودها الترجمة في أغلب أجزائها تدل دلالة واضحة على أنه لا أهمية لشيرون كمؤلف، لأنه لم يضاف شيئاً جديداً إلى ما قاله اليونان القدماء. وهذا راجع إلى أن عقلية الرومان عقلية عملية تهتم بالحياة الجارية أكثر من الحياة الفكرية، وبجياة الفتح والنزوا أكثر من حياة الاستقرار والانتاج، وبجياة القهر والاستعباد والقانون والقمع أكثر من حياة الحقيقة المجردة والخطأ الفكري وإصلاحه وواجب الفضيلة وتأنيب الضمير. عقلية تترج بموارض الدنيا، وإذا أرادت أن تتحرر من قيود المادة هامت على وجهها في ميدان العقل. فنجد مثلاً شيرون يخطئ في التعليق على آراء الفلاسفة كما يفعل عند ما يتكلم عن عناصر المادة في الكاديميك مما دعا العلامة تيوكور في رسالته لدكتوراه الدولة أن يصفه بأنه فيلسوف بالواسطة لا بالذات. وأهمية شيرون في نظر هذا العلامة تنحصر في أن مؤلفات شيرون تكون موسوعة لا يسر غورها لفلسفة اليونان وخصوصاً للفلاسفة الذين جاءوا بعد أفلاطون وأرسطو مباشرة وضاعت كتبهم أي الفلاسفة

الفن الذي أثبت قدرته فيه مرات ، فلسياسي الحق أن يلحق شباب المستقبل بعضاً من البادى والدروس البالغة » ( إقرأ لكليك « مؤلفات شيشرون الجزء الثاني عشر صفحة ٣ ) .  
ويذكر العلامة يشون في كتابه « تاريخ الأدب اللاتيني » أن شيشرون أخذ من الفلسفة وسيلة لتفهم القانون الروماني الذي ساد في زمانه واستيحاء هذا القانون خلال تلك البادى العقلية في خلق فلسفة سياسية تجدها في جمهوريته ونواميسه . والفلسفة بعد ذلك كانت وسيلة للمزاة في آخر حياة شيشرون لأنه فقد زوجته بعد حياة ثلاث وثلاثين سنة واضطر إلى الزواج من أخرى صغيرة السن لم تستقم سيرتها مع ابنته التي ماتت بعد ذلك في شبابها المبكر ؛ فلزم الحزن وسطر كتابه « التامى » ( اقرأ القيس العلامة برتران في كتابه « منتخبات من مؤلفات شيشرون في الفلسفة » ) وعليه فالفلسفة عند شيشرون لاحقة بالسياسة وتابعة لها وهي وسيلة لاعتناء ، وإن كان هذا يقلل من قيمته ككولف إلا أن مؤلفاته لنفس هذا السبب ذات قيمة تاريخية عظيمة جداً .

ومهما يكن من شيء فشيشرون في جملة القول يتأثر فيما يبسطه في كتبه بمذهب الرواقين ومذهب الأكاديمية الجديدة ؛ وإن مؤلفاته محل عمل المؤلفات اليونانية الضائعة فلا تضع حركة تاريخ الآراء والمذاهب عندهم . ثم إن مؤلفاته قيمة أخلاقية إذ شرحت للناس طوال القرون الوسطى في أوروبا أصول الفضائل العملية والنظرية لأن أفلاطون وأرسطو لم يبرقا على حقيقة أمرها إلا عن ترجمة آباء الكنيسة للتراث الاسلامي ، وبمساعدة علماء اليهود في اسبانيا إبان القرن الثالث عشر الميلادي . ولها في النهاية قيمة أدبية لأن أسلوب شيشرون له مميزاته ، فهو يبسط الآراء لا في شكل متتابع بل في شكل حوار ؛ فهو يقلد أفلاطون في ذلك ، ولم يخرج عن هذه القاعدة من مؤلفاته إلا ال de officiis أي الواجبات ؛ وال Paradox أي المحيررات

عبد العزيز عزت

عضو هيئة الجامعة المصرية لكتوراه الدولة

الرواقيون ، لأن العلامة لوسيان ليفي في شرحه « لنواميس » شيشرون يذكر أن لكريزيب نحو ستائة كتاب أغلبها إن لم يكن كلها قد فقد . ونخلق مثل هذه الشخصية العظيمة يرجع أستاذنا إميل برهيه E. Bréhier في كتابه عنه إلى شيشرون في كل صفحة من صفحاته . وزيادة الدقة في البحث نذكر أن الكتب الرواقية المفقودة والتي نستفيض عنها بمؤلفات شيشرون هي كتب الرواقين القدماء أي زينون وكليات وكريزيب ، وليست كتب الحديثين منهم أي بيبتيوس وبردونيوس الذين كادوا يماصرون شيشرون في زمانه ، ونحن في هذا نعتمد على رأى العلامة جورتر

ويجب ألا يتطرق إلى ذهن القارئ أن ضعف شيشرون في فهم الفلسفة يرجع إلى عيب في مداركه ، فللحكم عليه يجب ألا تتأثر بحالتنا الراهنة للفلسفة في أوروبا ، وإنما يجب أن ترجع إلى حالة الفلسفة في عهده . فسنجد أن ما نسميه الآن ضمناً كان قوة ، وكان هو سيد المبشرين في زمانه بين أهله وعشيرته ، بل إن ما نسميه الآن ضمناً كان فضيلة لها ميزتان : الأولى أنه أخلص لمبقرية جنسه فأثبت أنه عريق في الرومانية يمت إلى أهله بأصل ثابت ، فلم يتفرد عنهم بقوة التجريد . الثانية أنه لم يتصرف فيما نقله عن فلاسفة اليونان فكانت مؤلفاته أو بالأحرى « ترجماته » خير معبر صادق عما ضاع من نصوص ، وخير معين على تتبع حركة الفكر عند اليونان دون ضياع حركة ما

ويجب أن يعلم القارئ مع ذلك أن شيشرون لم يكن فيلسوفاً « محترفاً » وإنما كان على وجه الخصوص سياسياً ماهراً وخطيباً مصقفاً لم يعرف التاريخ له مثيلاً ، وأنه أخذ من الفلسفة وسيلة لتدعيم مركزه في الأوساط الرومانية وبين أعضاء مجلس الشيوخ برومة ، فكلمها حيل بينه وبين منبر الخطابة ذهب إلى الفلسفة ليشرح إلى بني وطنه أصول المعرفة فيتصل بهم عن طريق العقل والآراء فلا ينسونه وهو بعيد عن حظيرة السياسة . كذلك وجد في الفلسفة وسيلة لتربية ابنه ، وسائر أبناء وطنه فهو يقول : « إذا كان الخطيب المصقع له الحق أن يعلم ذلك